المَجمُوعَة الأُولَى (١ - ١٠٠)

التُّحَف بالمأثُور عن السَّلَف

تأليفُ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طُبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة

التُّحَف

بالمأثور عن السَّلف

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طُبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله أحمده سبحانه بمحامده التي هو لها أهل، وصلى الله وسلم على خاتم رسله وأنبيائه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإن كلام السلف الصالح عظيم البركة؛ يحوم على طهارة القلوب وزكاة النفوس وصلاح الأعمال وتصحيح الإيمان؛ وذلك لعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم وجميل نصحهم.

وفي هذا المجموع تطواف مع جملة من الآثار المروية عنهم، متبعًا كل أثر بتعليقٍ مختصر؛ لنقتبس منها هديًا قاصدًا ومسلكًا رشيدًا وعلمًا مسددًا ووعظًا مؤثرًا ونصحًا بالغًا، ومن وفِّق لسلوك نهجهم كان على الجادَّة، ومن كان على آثارهم فهو على الطريق، رزقنا الله حسن الائتساء بهم وسلوك منهجهم ولزوم غرزهم، إنه سميع مجيب.

١
وصية جامعة

كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن اكتب إليَّ بالعلم كلِّه. فكتب إليه: **إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم، فافعل**. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥/٢١٦).

الله أكبر! كلمات يسيرة إلا أنّها حَوَتْ جماع حقوق العباد، وما أكثر التفريط فيها، لاسيما عندما تشرئب الفتن أعاذنا الله.

٢
الإقبال على المدبرة

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**ارتحلت الدُّنيا مدبرةً، وارتحلت الآخرة مقبلةً، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بَنُونَ، فكونوا من أبناءِ الآخرةِ، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا؛ فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عملٌ**». «صحيح البخاري» قبل حديث (٦٤١٧).

من كلام علي رضي الله عنه هذا أخذ بعض الحكماء قولَه: «الدُّنيا مدبرة والآخرة مقبلة، فعجبٌ لمن يُقبل على المدبرة ويُدبر عن المقبلة». «فتح الباري» (١١/ ٢٣٦).

٣
الدم الحرام

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: «**إنَّ أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع ألَّا يأكل إلا طيبًا فليفعل، ومن استطاع ألَّا يُحَال بينه وبين الجنة بملء كفّه من دم أهراقه، فليفعل**». رواه البخاري (٧١٥٢).

وصية عظيمة في الحضّ على أكل الحلال والكفِّ عن الدِّماء، وهي إنما تنفع إذا صادفت قلبًا صادقًا متحريًا للخير متجردًا عن الهوى، ولذا لما كان من أوصاهم بخلاف ذلك لم ينتفعوا بوصيته، بل خرجوا وأعملوا السيف في المسلمين وقتلوا الرجال والأطفال وعظم البلاء بهم، والله المستعان.

٤
الأغاليط

عن الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط**». «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١٠٨٧).

المراد بالأغاليط: شُذَّاذ المسائل وصعابها على وجه التعنت والتكلف، وسوء القصد بالأسئلة مما يثير الشُّكوك، فيكثر الجدل وتزيد الخصومات، ومن قصر همَّته على تتبع شواذِّ المسائل، ولم تكن له همة في الفهم عن الله ورسوله نفس المراد وعلم حدود ما شرع المثمر للعمل، فقد أضاع وقته وحرم بركة العلم.

٥
التهيّؤ لرمضان

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «**إذا صمت، فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواءً**». «المصنف» لابن أبي شيبة (٨٩٧٣).

هذه صورة مشرقة من صور التهيؤ لرمضان، وذلك أنَّ الصيام إنما شرع لتهذيب النفوس، وتزكية القلوب، وتحقيق التقوى، ومجانبة الآثام، وإصلاح القلوب والألسن والجوارح، فكم هو جميلٌ بمن أقبل عليه هذا الشهر المبارك أن يُحْسِن التهيؤ ليغنم خيراته.

أعاننا الله أجمعين على حفظ صيامنا وتكميله، بصيام جوارحنا عن الكذب والمأثم، وبلزوم السكينة والوقار، وأَلَّا يكون يوم فطرنا ويوم صيامنا سواء.

٦
الأدب

قال عبد الله بن المبارك: «**كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين**». «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١٤٥/٤).

إنّما كان الأدب بهذه المكانة؛ لأنّه خُلُقٌ عظيم يكون في العبد، فيحمله على فعل ما يحمد مِنَ الأقوال والأعمال، فما استجلبت الخيرات بمثله،

وما استدفعت الشرور بمثله، يقود صاحبه إلى كلّ فضيلة وخير، ويحجزه عن كلّ سوء وشرّ، وهو عنوان فلاحه وسبيل سعادته في دنياه وأخراه.

٧
زيادة الإيمان ونقصانه

عن عمير بن حبيب الخطمي رضي الله عنه قال: «**الإيمان يزيد وينقص، فقيل: فما زيادته؟ وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا ربنا وخشيناه، فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا، فذلك نقصانه**». رواه ابن أبي شيبه في «الإيمان» (١٤).

ألا ما أحوج العبد إلى أن يعرف الأسباب التي يزيد بها إيمانه ليلزمها ويحافظ عليها، وأن يعرف الأسباب التي ينقص بها الإيمان ليجانبها ويحاذر من الوقوع فيها؛ حفظًا لدينه ورعاية لإيمانه.

٨
الاستخفاف بالناس

عن ابن المبارك قال: «**من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته**». «سير أعلام النبلاء» (٤٢٥/١٥).

النظر إلى الناس بعين الاستخفاف ضرب من ضروب الكبر والخيلاء، والعاقل لا يستخفف بأحد، ومن كان مستخفًّا بالناس، فهذه عقباه.

٩
رحماء بينهم

عن سفيان بن حسين قال: «**ذكرت رجلًا بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي، وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا، قال: فالسّند والهند والترك؟ قلت: لا، قال: أفتسلم منك الروم والسّند والهند والتُّرك، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟! قال: فلم أعد بعدها**». «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ١٢١).

هذا من فطنته وجميل نصحه، ولربما كان بعض الناس أقسى من ذلك «يقتلون أهل الإسلام، ويدَعُون أهل الأوثان»، وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

١٠
التماس المعاذير

قال أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي: «**إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه، فالتمس له العذر جهدك؛ فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعلّ لأخي عذرًا لا أعلمه**». «الحلية» لأبي نعيم (٢/ ٢٨٥).

فرق بين مَن يبذل جهده في التماس العذر لأخيه، ومن يختلق الأكاذيب ويفتري التهم ويحمّل قول أخيه أو فعلَهُ ما لا يحتمل.

١١
من شغل عن نفسه بعيب الآخرين

عن عبد الله بن محمد بن الكوّاء، أنّه قال للربيع بن خثيم: ما نراك تعيب أحدًا ولا تذمّه، فقال: «**ويلك يا بن الكوّاء! ما أنا عن نفسي براضٍ، فأتفرّغ من ذنبي إلى حديث الناس، إنّ الناس خافوا الله تعالى على ذنوب الناس وأمنوه على نفوسهم**». «الحلية» لأبي نعيم (٢/١١٠).

حقًّا فكم من أناس تفرغوا لعيوب الآخرين، ونسوا عيوب أنفسهم من ترك لِوَاجباتٍ وارتكاب لمنهيَّاتٍ.

١٢
أين بلغت؟

قال عبد الله بن المبارك لبعض أصحابه، وقد رآه مفكرًا: **أين بلغت؟ قال: الصراط.** «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/١٨٠).

شتان بين مَنْ أفكارُه تصل به إلى الصِّراط؛ خوفًا وإشفاقًا، ومَنْ أفكارُه تسبح في أوحال الذنوب ومهاوي المعاصي سفولًا وإغراقًا.

١٣
السُّنَّة سفينة النجاة

قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**السنّة سفينة نوحٍ مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلّف عنها غرق**». «ذم الكلام» للهروي (١٢٤/٤).

كان علماء السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، فكيف تُرجى نجاة مَنْ تخلف عن سبيل النجاة وأخذ في سبل الهلكة، وما أجمل هذا التشبيه للسُّنة بالسفينة!

١٤
لطف الله

عن عون بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: **هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة، فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾** [التوبة: ٤٣]. «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠٠٧٥).

هذا من لطف الله تعالى بنبيه محمد ﷺ وتكريمه إياه، فأعلمه بعفوه عنه قبل إخباره بخطأ الاجتهاد في الإذن لبعض المنافقين بأن يتخلفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك.

١٥
معالجة النيّـة

عن سفيان الثوري، قال: «**ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من نيَّتي، إنّها تَقَلَّبُ عليَّ**». «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٢/٢٨٨).

كثرة تقلب النية سببه كثرة ما يَغْشى القلب، ويهجم عليه من الصَّوارف والصوادَّ، مما يتطلب دوامَ ملاحظةٍ وعنايةٍ وإلا عطب وهلك، والله الحافظ.

١٦
العبادة بغير علم

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من عمل بغير علمٍ كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح**». «الزهد» للإمام أحمد (١/٣٠١).

صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهل فشت البدع والأهواء والضّلالات في المجتمعات إلّا بسبب اشتغال كثير من النّاس بالعبادة بلا علم ولا هدى.

١٧
عُجْبُ المرء بعلمه

عن مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**بحسب المرء من الجهل أن يعجب بعلمه، وبحسبه من العلم أن يخشى اللّه**». «مصنف ابن أبي شيبة» (١٣/٤٠٥).

رأس العلم خشية الله فإن لم توجد فما ثَمَّ علم، فإن انضم إلى هذا عُجْبٌ من المرء بعلمه، فهذا استحكام الداء الذي ترامى بصاحبه إلى الهلاك والعطب.

١٨
دعاء جامع

عن معاوية بن قرة قال: كان أبو الدرداء يقول: «**اللّهمّ إنّي أسألك إيمانًا دائمًا، وعلمًا نافعًا، وهديًا قيِّمًا**». قال معاوية: «**فنرى أنّ من الإيمان إيمانًا ليس بدائمٍ، ومن العلم علمًا لا ينفع، ومن الهدي هديًا ليس بقيّمٍ**». «الإيمان» لابن أبي شيبة (١٠٦).

هذا دعاء عظيم جامع يُؤْثَر عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وكفى بتعليق تلميذه معاوية؛ تبيانًا له.

١٩
تكبيرة الإحرام

عن سعيد بن المسيب قال: «**ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت في قَفَا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة**». «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/١٦٣).

هذا شأن السلف مع تكبيرة الإحرام، ولم ينظر في قَفَا رجل في صلاته طيلة هذه المدة؛ لمحافظته على الصف الأول، فكيف شأننا مع هذه التكبيرة؟!

٢٠
مهلكتان

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**اثنتان مهلكتان: العُجْبُ، والقُنُوطُ**».
«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢٩٨/٧).

وجه الجمع بينهما في الإهلاك أنّ القانط لا يطلب السعادة؛ لشدة قنوطه، والمعجب لا يطلبها أيضًا؛ لظنه أنّه قد ظفر بها، واجتمعت فيه موجباتها.

٢١
سيف له عينان

عن ابن سيرين قال: قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل، فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ قال: **لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف الكافر من المؤمن، قد جاهدت وأنا أعرف الجهاد، ولا أنجعُ بنفسي إن كان رجلًا خيرًا مني**. رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٧٠).

قال ذلك رضي الله عنه وهو من العشرة المبشرين بالجنة؛ خوفًا على نفسه أن يصيب دمًا حرامًا، فأيّ جرم يصنعه من يرمي بالقذائف الثقيلة وسط النساء والأطفال فتراق دماء وتزهق أرواح. والله المستعان.

٢٢
اللسان أمير البدن

قال المبارك بن فضالة عن يونس بن عبيد: «**لا تجد شيئًا من البرّ واحدًا يتبعه البر كلّه غير اللسان؛ فإنّك تجد الرجل يكثر الصيام، ويفطر على الحرام، ويقوم الليل ويشهد الزور بالنهار** -وذكر أشياء نحو هذا- **ولكن لا تجده لا يتكلّم إلا بحقٍّ، فيخالف ذلك عمله أبدًا**». «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢٠/٣).

أي أنّ من وفّقه الله ﷻ فصان لسانه كانت هذه الصيانة للسان سببًا لصيانة الجوارح كلّها، كما في الحديث: «إذا أصبح ابن آدم، فإنّ الأعضاء كلَّها تُكَفِّرُ اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنّما نحن بك، فإنِ استقمت استقمنا، وإن اعْوَجَجْت اعوججنا».

٢٣
رجاء المغفرة للحجاج

قال عبد الله بن المبارك: «جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فبكيت، فالتفت إليَّ، فقال: **ما شأنك؟** فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: **الذي يظن أنّ الله ﷻ لا يغفر لهم**». رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (ص:٩٢).

اللهم يا ربنا أنت الغفور الرحيم، ولا نظنّ بك إلا خيرًا، فاغفر لحجاج بيتك الحرام، وتجاوز عنهم يا ربنا ما اقترفوه من الذُّنوب والآثام، وردهم إلى أوطانهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، وقد فازوا بالصفح والغفران.

٢٤
الخوف من سلب التوحيد

عن مجيب بن موسى الأصبهاني قال: كنت عديل سفيان الثوري إلى مكة، فكان يكثر البكاء، فقلت له: يا أبا عبد الله، بكاؤك هذا خوفًا من الذنوب؟ قال: فأخذ عودًا من المحمل، فرمى به، وقال: «**لذنوبي أهون علي من هذا، ولكني أخاف أن أسلب التوحيد**». «أخبار أصبهان» لأبي نعيم رقم: (١٩٢٣).

التوحيد أغلى شيء وأنفسه في هذه الدنيا، ولئن كان أرباب كنوز الدنيا يخافون عليها الضياع والسلب، فإنّ خوف أهل التوحيد على توحيدهم أعظم من ذلك وأشد، ولئن كان خوف أرباب الدنيا يَعْظُمُ عندما يكثر السَّلب والنهب، فإنّ خوف أهل التوحيد يزداد عندما تكثر الفتن والصوارف والصوادّ، وما أكثرها في هذا الزمان، فاللهم سلم سلم.

٢٥
مزاحمة الرجال

عن منبوذ بن أبي سليمان، عن أمه أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ أم المؤمنين فدخلت عليها مولاة لها فقالت لها: يا أم المؤمنين طفت بالبيت سبعًا واستلمت الركن مرتين أو ثلاثًا فقالت لها عائشة رضي الله عنها: «**لا آجرك الله، لا آجركِ الله، تدافعين الرجال، ألا كَبَّرْتِ وَمَرَرْتِ**». «مسند الشافعي» (٦٠٥).

أنكرَتْ عليها رضي الله عنها وشدَّدتْ في الإنكار مع أنّ الدافع لهذه المزاحمة الرغبة في الخير والحرص على تقبيل الحجر الأسود، فكيف الشأن بمن يزاحمن

الرجال رغبة في الشرِّ وحرصًا على إثارة الشهوات، وهنّ بأبهى الزينة وتمام التجمل والتعطر.

٢٦
علوّ الهمّة

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنّ الناس لو كانوا إذا كَبُرَ عليهم أمرٌ تركوه؛ ما قام دينٌ ولا دنيا**». «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨٨/٤).

ولذا ينبغي للمرء أن تكون طموحاته عالية وهمته كبيرة مجافيًا للتواني والكسل قوي الثقة بالله في أن يبلغه ما يرجو وخيرًا مما يرجو.

٢٧
أهل القرآن

قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنما نزل القرآن لِيُعْمَلَ به، فاتخذ الناس قراءته عملًا**». «أخلاق حملة القرآن» للآجري (٣٨).

فأهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه، لا بمجرد إقامة الحروف، ففي «صحيح مسلم» (٨٠٥) عن النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»، وهو مفسر لما رواه ابن ماجة (٢١٥) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لله أهلين من الناس» قالوا: يا رسول الله، مَنْ هم؟ قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته».

٢٨
اليقين

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لو أنّ اليقين استقر في القلب، كما ينبغي لطار فرحًا وحزنًا وشوقًا إلى الجنة أو خوفًا من النار**». «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٧/٧).

اليقين روح الأعمال وعمودها ولُبُّها، ومنزلته من الإيمان منزلة الروح من الجسد، رزقنا الله اليقين، وجعلنا من أهله بمنّه وكرمه.

٢٩
الفرق بين الكِبْرِ والعُجْبِ

قال أبو وهب المروزي: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: «**أن تزدري الناس**». فسألته عن العُجْبِ؟ قال: «**أن ترى أنّ عندك شيئًا ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئًا شرًّا من العُجْبِ**». «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣٩٥/١٥).

كلاهما من أدواء القلوب إلا أنّ الكبر يستدعي متكبراً عليه يرى نفسه فوقه وأعلى منه، بينما العُجْب استرواحٌ للنفس وركون إلى رؤيتها، ولا يستدعي غير المعجب به، بل لو لم يكن إلا وحده تُصور أن يكون معجبًا ولا يتصور أن يكون متكبرًا. والعُجْبُ يفضي إلى التكبر، والتكبر لا يكون إلا عن عُجْبٍ؛ إذ هو أثر من آثاره.

٣٠
حسن العمل

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنَّ المؤمن أحسن الظّنَّ بربِّه، فأحسن العمل، وإنَّ المنافق أساء الظّنَّ بربِّه، فأساء العمل**». «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٤٤/٢).

كيف يكون المضيع المفرِّط محسنًا الظن بربه **!!** وهو عن ربِّه ومولاه شاردٌ، وعن طاعته مبتعدٌ، وعن أبواب رحمته ومغفرته معرضٌ، بل محسن الظن بربه حقًّا هو من عرف ربه بصفات كماله، ونعوت جلاله، وكرمه وإحسانه، وجوده وامتنانه، ورحمته وغفرانه، وعرف نفسه بتفريطها وتقصيرها، فأخذ يجاهدها لتستقيم على الطاعة وتحسن العمل.

٣١
هوان الدنيا

عن مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**ما من الدُّنيا شيءٌ آسى عليه إلَّا السّجود لله**».
«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٠١٣).

لا يقول هذا إلا من عرف حقارة الدنيا وهوانها، وأمَّا من لم يعرف ذلك، فإنَّه لا يأسى على شيء إلا عليها.

٣٢
صلاة الجماعة

عن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**ما فاتتني الصلاة في الجماعة منذ أربعين سنةً**». «حلية الأولياء» (١٦٢/٢).

وكثير من الناس تفوته صلاة الجماعة في اليوم الواحد والأسبوع الواحد أكثر من مرة؛ فأين هم من السلف؟!

٣٣
التعاظم

قال عتبة بن غزوان رضي الله عنه في تعوذه: «**أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيمًا وعند الله صغيرًا**». «صحيح مسلم» (٧٦٢٥).

ليحذر العبد أن يتعاظم في نفسه، ويعجب بحاله وعمله، ويغفل عن تعظيم سيّده ومولاه، وتعظيم شعائره، فيكون من الخاسرين، وما أشبه المتعاظم بالفقاعة تنتفخ على سطح الماء، كالقارورة المستديرة، ثم تنفقئ سريعًا.

٣٤
صلاح المعتقد

قال يحيى بن عون: دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، فقال: **ما هذا القلق؟** قال له: الموت والقدوم على الله. قال له سحنون: **ألستَ مصدِّقًا بالرسل والبعث والحساب، والجنة والنار، وأنّ أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأنّ الله يُرَى يوم القيامة، وأنّه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف، وإن جاروا.** قال: إي والله. فقال: **مت إذا شئت، مت إذا شئت.** «سير أعلام النبلاء» (٢٣/٦١).

مدار الأمر على صحة المعتقد وسلامته؛ فبصحته صلاح دين الناس ودنياهم، وبفساده فساد أمر الناس في دينهم ودنياهم، وعند حضور الأجل لا مكنة من العمل إلا الموت على المعتقد الصحيح لمن كان من أهله.

٣٥
صلاح الولايات

قال الزهري: «**ما رأيت كاليوم ولا سمعت به كأربع كلمات تكلم بهنّ رجلٌ آنفًا عند هشام بن عبد الملك، فقيل له: وما هنّ؟ قال: قال له رجل: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلماتٍ فيهنّ صلاح ملكك واستقامة رعيتك قال: هاتهنّ قال: لا تعدنّ عدةً لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنّك المرتقى وإن كان سهلًا إذا كان المنحدر وَعْرًا، واعلم أنّ للأعمال جزاءً فاتَّقِ العواقب، وأنّ للأمور بغتات، فكن على حذر**». «روضة العقلاء» لابن حبان (ص:٢٦٥).

ليت كلّ من ولي من أمر المسلمين ولاية صغيرة أو كبيرة يعي هذه الأمور الأربع ويحققها ليستقيم له الأمر وليسلم من التبعة.

٣٦
التهنئة بالمولود

عن حماد بن زيد قال: كان أيوب إذا هنأ رجلًا بمولود قال: «**جعله الله مباركًا عليك وعلى أمّة محمّدٍ ﷺ**». «الدعاء» للطبراني (٩٤٥).

دعوة عظيمة يحسن الدعاء بها عند التهنئة بالمولود بدل تكلّف كلمات قد تكون خاطئة، وفي «الدعاء» للطبراني عن السري بن يحيى، أنّ رجلًا ممن كان يجالس الحسن وُلِدَ له ابن فهنأه رجل فقال: ليهنك الفارس، فقال الحسن: وما يدريك أنّه فارس، لعلّه نجار لعلّه خياط، قال: فكيف أقول؟ قال: قل: «جعله الله مباركًا عليك، وعلى أمّة محمّدٍ ﷺ».

٣٧
السعيد مَن اتّعظ بغيره

قال مُطَرِّف: «**اللهم إني أعوذ بك ..أن يكون أحدٌ أسعد بما علمتني مني، وأعوذ بك أن أكون عبرة لغيري**». «الزهد» للإمام أحمد (١٣٤٢).

دعوة عظيمة وصفها شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع فتاويه» (١٤/ ٣٠٧) بأنّها «من أحسن الدعاء». ومن لم يعمل بعلمه ودعا الناس إليه كانوا أسعد بعلمه منه، ومن لم يعتبر بحال غيره من المفرطين الذين سبقوه كان لمن بعده عبرة.

٣٨
الدعاء جماع الخير

قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير: «**تذكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثيرٌ؛ الصوم والصلاة، وإذا هو في يد الله ﷻ، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله ﷻ إلا أن تسأله، فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء**». «الزهد» للإمام أحمد (١٣٣٠).

الدعاء أساس الخيرات ومفتاح الفضائل والمكرمات؛ لأن الأمور كلَّها بيد الله؛ عطاءً ومنعًا، خفضًا ورفعًا، عزًّا وذلًّا، فمن وُفِّقَ للدعاء، فقد نال مفتاح الخير، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الفوائد» (ص:١٢٧-١٢٨): «أساس كلّ خيرٍ أن تعلم أنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقّن حينئذٍ أنّ الحسنات من نعمه، فتشكره عليها، وتتضرّع إليه ألَّا يقطعها عنك، وأنّ السيّئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكِلك في فعل الحسنات وترك السيّئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أنّ كلّ خيرٍ، فأصله بتوفيق الله للعبد، وكلّ شرٍّ فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أنّ التوفيق ألَّا يكلك الله إلى نفسك، وأنّ الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كلّ خيرٍ، فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللّجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح، فقد أراد أن يُفْتَح له، ومتى أضلّه عن المفتاح بَقِيَ باب الخير مُرْتَجًا دونه... وما أُتِيَ مَنْ أُتِيَ إلَّا مِنْ قِبَل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ -بمشيئة الله وعونه- إلَّا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء».

٣٩
الخصومات

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التّنقّل**». «سنن الدارمي» (٣١٠).

كم من إنسان خاطر بدينه، ولاسيما مع يسر التواصل عبر وسائل الاتصال الحديثة، ودخل بلا بصيرة في خصومات وجدل عقيم، لم تثمر إلا قسوة القلوب، وضعف الدين، وذَهاب الحياء، وكثرة التنقل من فكر إلى آخر، ومن رأيٍ إلى رأيٍ.

٤٠
الجهاد بلا عِلْم

قال المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: رجلٌ له خمسمائة درهمٍ ترى أن يصرفه في الغزو والجهاد أو يطلب العلم؟ قال: إذا كان جاهلًا يطلب العلم أحبّ إليّ**». «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٤٣/٢).

كم من شابٍّ من شباب الأمة، اندفع بلا علم وراء ما يظنه جهادًا ونصرةً للدين، فكان ما ترتب على فعله من الفساد أعظم مما كان يظن أنّه سيحققه لأمته، ولو جلس يطلب العلم على أهله وحملته لأبصر وسلم.

٤١
الشُّهرة

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إن كان الرجل ليكون فقيهًا جالسًا مع القوم، فيرى بعض القوم أنَّ به عِيًّا، وما به من عِيٍّ إلا كراهية أن يشتهر**». «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٤٥٥).

وإن كان الرجل ليكون جاهلًا جالسًا مع القوم، فيتكلم بلا علم، وما به من رغبة إلا أن يشتهر.

٤٢
الأخلاق مواهب

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**إنَّ الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم**». رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٥).

فالأخلاق هباتٌ من الله، وقسمةٌ منه، وتفضّلٌ. فالذي يعطي الأرزاق هو الذي يعطي الأخلاق، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفروسية» (ص:٤٩٩) «فإنّ الأخلاق مواهب يهب الله منها ما يشاء لمن يشاء»؛ ولهذا كما أنّه مطلوب في باب اكتساب الرزق أمران لابد منهما:

الأول: اللجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والتوكل عليه.

والثاني: السعي في طلب الرزق من وجوهه المشروعة المباحة.

فكذلك في باب الأخلاق مطلوب اللجوء إلى الله بالمنّ بالأخلاق الفاضلة والآداب الكريمة، مع السعي ومجاهدة النفس على تحقيقها، وبالله وحده التوفيق.

٤٣
أثـر الـعِـلـم

قال سفيان بن عيينة: «**إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟**». «أخلاق العلماء» للآجري (٤٤).

هذه موعظة عظيمة جدير بطالب العلم أن يتنبه لها، وقد كان من شأن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أنَّ العلم يظهر عليهم في عبادتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم؛ كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يُرى ذلك في بصره وتخشعه ولسانه ويده وصلاته وزهده». رواه الدارمي (٣٨٥).

٤٤
جمع المال من حلّـه

قال سعيد بن المسيب: «**لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حلِّه، يكفُّ به وجهه عن الناس، ويصل به رحمه، ويعطي منه حقه**». «إصلاح المال» لابن أبي الدنيا (٥٣).

هذا النصح البيِّن يتضمن التحذير من مسلكين ذميمين؛ وهما: جمع المال من غير حلِّه من خلال الطرائق المحرمة لتحصيل المال، وبقاء المرء عاطلًا لا يعمل، فيصبح عالة على غيره.

٤٥
الأخلاق منائح

قال طاوس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنّ هذه الأخلاق منائح يمنحها الله ﷻ مَنْ يشاء من عباده، فإذا أراد الله ﷻ بعبدٍ خيرًا منحه منها خلقًا صالحًا**». «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٣٢).

فالموفَّق مَنْ يجاهد نفسه على القيام بمحابِّ الله مستعينًا به وحده راجيًا مدَّه وعونه ملتمسًا أن يمنحه من منائح رفده ومواهب بِرَّه، لا يأتى بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، يهدي لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو، ويصرف عنه سيئها لا يصرف عنه سيئها إلا هو.

٤٦
موجبات الحمد عند المصيبة

قال شريح القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنّي لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرَّاتٍ، أحمده؛ إذ لم تكن أعظم ممَّا هي، وأحمده؛ إذ رزقني الصَّبر عليها، وأحمده؛ إذ وفَّقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثَّواب، وأحمده؛ إذ لم يجعلها في ديني**». «شعب الإيمان» للبيهقي (٩٥٠٧).

من وفِّق عند المصيبة لتحقيق هذه المعاني، وحمد الله عليها كانت مصيبته خيرًا وبركة عليه، والمؤمن أمره كله خير.

٤٧
أخذ العلم عن الأكابر

سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل يقيم ببلده وينزل في الحديث درجة قال: «**ليس يُطْلَبُ العلم هكذا، لو طُلِبَ العلم هكذا مات العلم، إنَّما يؤخذ العلم عن الأكابر**». «طبقات الحنابلة» (١/١٩٨).

إذا كان نزول درجة في الحديث من أسباب موت العلم، فأيُّ شيء تكون علوم من ينتقصون العلماء الأكابر ويشتمونهم.

٤٨
بذا وبذا

عن أحمد بن بشر بن سعيد الكندي قال: **سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قلت: رجلٌ قرأ القرآن وحفظه، وهو يكتب الحديث يختلف إلى المسجد ويقرأ ويقرئ ويفوته الحديث أن يطلبه، فإن طلب الحديث فاته المسجد، وإن قصد المسجد فاته طلب الحديث، فما تأمره؟ قال: «بذا وبذا»، فأعدت عليه القول مرارًا، كلّ ذلك يجيبني جوابًا واحدًا «بذا وبذا»**. «طبقات الحنابلة» (١/٢٣).

أي أنَّ من أكبر المعونة لطالب العلم في التحصيل تنظيم وقته في الطلب، فلا يفوّت شيئًا على حساب شيء.

٤٩
العاقـل

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ليس العاقل الّذي يعرف الخير والشّرّ، ولكنّ العاقل الّذي يعرف الخير فيتّبعه، ويعرف الشَّرَّ فيتجنّبه**». «العقل وفضله» لابن أبي الدنيا (٥٦).

وذلك أنَّ مقصود العلم العمل، وإلا فما فائدة العلم إذا ترك العمل.

٥٠
قطع التميمة

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من قطع تميمةً عن إنسانٍ، كان كعدل رقبةٍ**». «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٣٤٧٣).

هذا من حسن فقهه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنَّ خلاص المرء من الشرك أعظم من خلاصه من الرقِّ.

٥١
العابد الجاهل والعالم الفاجر

عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: يقال: «**تَعوَّذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإنّ فتنتهما فتنةٌ لكلِّ مفتون**». «أخلاق العلماء» للآجري (٦٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الناس إنَّما يقتدون بعلمائهم وعبَّادهم؛ فإذا كان العلماء فجرةً والعبَّاد جهلةً؛ عمّت المصيبة بهما وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة». «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ١٦٠).

٥٢
النهوض لصلاة الجماعة

عن عبد الله بن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**يكره أن يقوم الرَّجل إلى الصَّلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طَلْق الوجه، عظيم الرَّغبة، شديد الفرح، فإنَّه يُنَاجِي الله** عَزَّوَجَلَّ، **وإنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه، ويتلو هذه الآية: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾** [سورة النساء: ١٤٢]». «التّرغيب والتّرهيب» لقوام السّنّة الأصبهاني (١٩٠٤).

النهوض لصلاة الجماعة بكسلٍ؛ راجع لضعف معرفة القلب بقيمة الصَّلاة ومكانتها، ولو عرفت القلوب مكانتها لذهب عنها هذا الوهاء والفتور والتَّواني والكسل.

٥٣
هيبة الله

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنَّما يهابك الخلق على قدر هيبتك لله**».

«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/١١٠).

نظير هذا قول بعض السلف: «من خاف الله خافه كلُّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كلِّ شيء». «بدائع الفوائد» لابن القيم (٢/ ٤٧٠).

٥٤
مفتاح الجنّة

قيل لوهب بن منبّهٍ: أليس لا إله إلَّا الله مفتاح الجنَّة؟ قال: **بلى ولكن ليس مفتاحٌ إلَّا له أسنانٌ، فإن جئت بمفتاحٍ له أسنانٌ فتح لك، وإلَّا لم يفتح لك**. رواه البخاري في «صحيحه» تعليقا (١٢٣٧)، ووصله في «التاريخ الكبير» (٢٦١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نونيَّته» تحت «فصل في مفتاح باب الجنّة»:

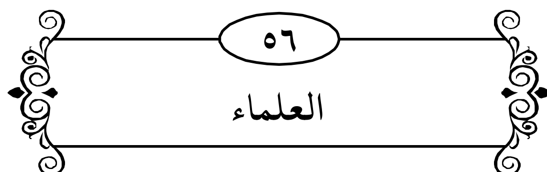
هذا وفتح الباب ليس بممكن ... إلا بمفتاح على أسنانٍ
مفتاحه بشهادة الإخلاص والتّـ ... ـوحيد تلك شهادة الإيمان
أسنانه الأعمال وهي شرائع الـ ... ـإسلام والمفتاح بالأسنان
لا تلغين هذا المثال فكم به ... من حل إشكالٍ لذي عرفان

٥٥
الجليس

قال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ليس شيءٌ أبلغ في فساد رجل وصلاحه من صاحب**». «الإبانة» لابن بطة (٥٠٤).

وذلك أنَّ طباع الإنسان مجبولةٌ على الاقتداء والتشبه بمن يقارن، فمجالسة

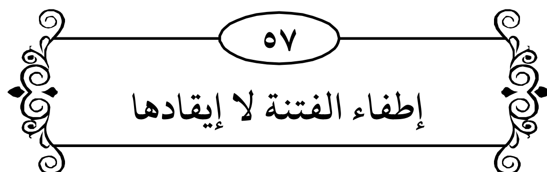
طلاب العلم تحرك في النفس الحرص على طلب العلم، ومجالسة الزهاد تزهد في الدنيا، ومجالسة المبتدعة وأهل الأهواء تردي في مهاوي البدع، ومجالسة الحريص على الدنيا تحرك في النفس الحرص على الدنيا، وهكذا؛ ولهذا لزم المرء أن يختار من القُرَناء والخُلَطَاء من يكون له في خلطتهم خير ونفع، وأن يحذر أشد الحذر من قُرَناء السوء، والتوفيق لصحبة الجليس الصالح معدودٌ في أعظم النعم.



٥٦ العلماء

عن أبي المليح، قال: سمعت ميمونًا، يقول: «**العلماء هم ضالّتي في كلِّ بلدةٍ، وهم بغيتي، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء**». «الحلية» لأبي نعيم (٨٥/٤).

ما أجلها من نعمة أن يوفق المسلم لمجالسة عالمٍ عَرِفَ ربه، وعَرِفَ نبيه، وعَرِفَ أوامر الله وحدوده، وميَّز بين ما يحبُّه الله ويرضاه وبين ما يكرهه ويأباه، فهو يعمل بأمر الله فيما يأتي ويذر، فكم له من الأثر المبارك على جلسائه.

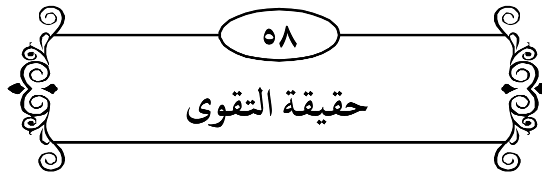


٥٧ إطفاء الفتنة لا إيقادها

عن ابن عمر رضي الله عنهما أتاه رجلان في فتنة ابن الزّبير فقالا: إنّ النّاس صنعوا، وأنت ابن عمر وصاحب النّبيّ ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟! فقال: **يمنعني أنّ**

الله حرّم دم أخي. فقالا: ألم يقل الله ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣]؟! فقال: **قاتلنا حتّى لم تكن فتنةٌ وكان الدّين للّه، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتّى تكون فتنةٌ ويكون الدّين لغير اللّه**. رواه البخاري (٤٥١٣).

سبحان اللّه! كم هو الفرق شاسع بين مَنْ قتاله؛ ليكون الدين كلّه للّه، وبين مَنْ قتاله لِتَقَع الفتنة بين المسلمين ويحمل السيف، ويضرب بعضهم رقاب بعض؛ فتضعف هيبتهم وتذهب ريحهم ويتسلط عليهم عدوهم، ويكون الدين لغير اللّه، أعاذنا الله والمسلمين من الفتن، فإنّها عمياء صماء بكماء.



٥٨

حقيقة التقوى

عن بكر بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**لمَّا كانت فتنة ابن الأشعث قال طلقٌ: اتّقوها بالتَّقوى، قال بكرٌ: أجمل لنا التَّقوى، قال: التَّقوى عملٌ بطاعة الله، على نورٍ من الله، رجاء رحمة الله، والتَّقوى ترك معصية الله على نورٍ من الله، خيفة عقاب الله**». «الزهد» لاين المبارك (١٣٤٣).

هذا من أحسن ما قيل في حدِ التَّقوى وبيان حقيقتها. وقد جمع فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين أمرين مبدأ التَّقوى وغايتها؛ لأن كل عمل يتقرب به إلى الله جَلَّوَعَلَا لا بد له من مبدأ ولا بد له من غاية؛ أما مبدؤه وهو أساسه الذي عليه يقوم، فهو الإيمان، وإليه الإشارة في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «على نورٍ من الله»، وأما غايته فنيل ثواب الله والفوز برضاه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والنجاة من عقابه، وإليه الإشارة في قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رجاء ثواب الله»، وقوله: «خيفة عقاب الله».

٥٩

رأس المال

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**رأس مال المؤمن دينه، حيثما زال زال دينه معه، لا يخلِّفه في الرِّحال، ولا يأتمن عليه الرِّجال**». «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٥٨٥).

من ضيَّع رأس المال كيف يطمع في الربح؛ فمن المحال بقاء الربح بلا رأس مال، فإضاعته خسران وحسرة وندامة، وحفظه ربح وسعادة في الدنيا والآخرة، وكثيرٌ من الخلق منشغلٌ بالأرباح المتوهمة عن رأس المال.

٦٠

تعداد النِّعم

عن سلَّام بن أبي مطيع، قال: أتينا سعيد بن إياس الجريري، وكان من مشايخ أهل البصرة، وكان قدم من الحج، فجعل يقول: «**أبلانا الله في سفرنا كذا، وأبلانا في سفرنا كذا، ثمَّ قال: كان يقال: إنَّ تعداد النِّعم من الشُّكر**». «الحلية» لأبي نعيم (٦/ ٢٠٠).

كثيرٌ من النَّاس ينشغل بعد الحج بذكر المصاعب والمتاعب والمشاق عن تعداد النِّعم.

٦١
كما تدين تدان

عن يحيى بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**بلغنا أنَّه من أهان ذا شيبةٍ لم يمت حتى يبعث الله عليه من يهين شيبه إذا شاب**». «العمر والشيب» لابن أبي الدنيا (١٣٤٣).

كثير من كبار السن يحتاجون إلى رعاية خاصَّة وعناية كبيرة؛ عناية بَدَنِيَّة وعناية نفسية وعناية اجتماعية، وكما يدين المرء يدان، فمن كان عارفًا بحقوق هؤلاء مؤديًا لواجباتهم، فإن الله ﷻ يقيِّض له في كبره من يقوم بحقوقه وواجباته، وعلى العكس من ذلك من كان مضيِّعًا حقوق هؤلاء ومهملًا لواجباتهم أو مسيئًا إليهم، فإنَّ الله يقيض له في كبره من يعامله بذلك.

٦٢
خصلتان

عن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**خصلتان إذا رأيتهما في الرجل فاعلم أنَّ ما وراءهما خيرٌ منهما: إن كان حابسًا لِلِسَانه، يحافظ على صلاته**». «الصمت» لابن أبي الدنيا (٥٦٤).

حفظ اللسان وحبسه وصيانته يعدُّ حفظًا للجوارح كلِّها؛ لأنَّها له تبع، والمحافظة على الصلاة تعدُّ معونةً للعبد على الخيرات كلِّها ومزدجرًا له عن الشرور والآثام.

٦٣
من مكارم الأخلاق

عن ثابت بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**ما رأيت أحدًا أجلَّ إذا جلس مع القوم، ولا أفكه في بيته، من زيد بن ثابتٍ**». «الأدب المفرد» للبخاري (٢٨٦).

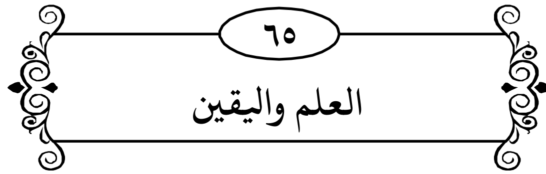
هذا من مكارم الأخلاق؛ أن يكون الإنسان ذا لطف في البيت وتودد ودعابة ومؤانسة للأهل والأولاد؛ لأن البيت غالبًا يدخله صاحبه، وهو مكدود ومتعب من العمل والاختلاط بالناس، والاحتكاك بهم، والأغلب في حال كثير من الناس أنه إذا دخل بيته، فإنه يبحث عن الراحة والسكون، ولا يريد أن يسمع صوتًا أو أن يتحدث مع أحد، فضلًا أن يكون عنده نشاط ليريح مَن حوله ويلاطفهم، فإذا اتَّسع صدر المرء وعظمت أخلاقه وحسنت عند دخوله للبيت، فإنه يستوعب أولاده وأهل بيته بملاطفته ومؤانسته لهم وجميل خلقه.

٦٤
المؤمن جمع بين إحسان وشفقة

عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**إِنَّ المؤمن جمع إحسانًا وشفقةً، وإِنَّ المنافق جمع إساءةً وأمنًا**». «الزهد» لابن المبارك (٩٨٥).

ولنعتبر في هذا الباب بحال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خير هذه الأمة. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تأمل أحوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير، بل التفريط والأمن، فهذا الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

يقول: «وددت أني شعرة في جنب عبدٍ مؤمنٍ»، ذكره أحمد عنه. وذكر عنه أيضًا أنه كان يمسك بلسانه ويقول: «هذا الذي أورَدَني الموارد»، وكان يبكي كثيرًا، ويقول: «ابكوا، فإن لم تبكوا، فتباكوا»، وكان إذا قام إلى الصلاة، كأنه عودٌ من خشية الله ﷿. وأُتِيَ بطائرٍ فقلبه ثم قال: «ما صيد من صيد، ولا قطعت شجرة من شجرة، إلا بما ضيعت من التسبيح»، فلما احتضر، قال لعائشة: يا بنية، إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذه الحلاب وهذا العبد، فأسرعي به إلى ابن الخطاب، وقال: والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد...». «الداء والدواء» لابن القيم (ص:٩٣).



عن أبي سعيدٍ الخرَّاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**العلم: ما استعملك، واليقين: ما حملك**».
«اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادي (٣٦).

هذا وصف جميل للعلم النافع واليقين الصادق؛ فالعلم: ما استعملك في الطاعة والعناية بالعبادة، واليقين: ما حملك في سيرك إلى الله، فلولا اليقين ما سار راكب إلى الله.

٦٦
المشاورة

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لا يندم من شاور مرشدًا**». «روضة العقلاء» لابن حبان (ص: ١٩٣).

المشاورة رشدٌ وسدادٌ، وما ندِمَ من استشار، وليس كلُّ أحدٍ أهلًا أن يُستَشار، وإنما الأهل لذلك الراشد المرشد، وكم تَوَرَّط أقوام في مسالك لا تحمد بسبب مشاورتهم من ليس بأهل.

٦٧
إكرام النفس وإهانتها

عن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**كان يقال: ما أكرم العباد أنفسهم بمثل طاعة الله ولا أهان العباد أنفسهم بمثل معصية الله** عَزَّ وَجَلَّ». «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (٩٨).

الناس مع أنفسهم بين مُكْرِمٍ لنفسه ومهين؛ فمن جاهد نفسه على العبادة والطاعة، فقد أكرم نفسه وزكاها، ومن غمسها في الذنوب والآثام، فقد أهانها ودَسَّاها.

٦٨
خيانة السلطان

عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار قال: «**لما حُبِسَ ابن سيرين في السجن قال له السَّجَّان: إذا كان الليل، فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعالَ، فقال ابن سيرين: لا والله؛ لا أعينك على خيانة السلطان**». «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٣٣٤/٥).

شتان بين هذا المنهج المبارك القائم على الدِّيانة والوفاء والورع، وبين مَنْ لا يُبالي بشيء إلا ما أُشْرِبَ من هواه.

٦٩
من جواهر الكلام

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**لا يرجو عبدٌ إلَّا ربَّه، ولا يخافنَّ إلَّا ذنبه**». «الإيمان» للعدني (١٩).

هذه الكلمة -كما قال ابن تيمية رحمه الله في قاعدة في الصبر (٩٥)- من جواهر الكلام ومن أحسنه وأبلغه وأتمه، فمن رجا نصرًا أو رزقًا من غير الله خذله الله، والرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بسبب ذنوبه، ولا يجتمع هذان الوصفان إلا لعبدٍ موفق لنيل ما يرجو والأمنة مما يحذر؛ ففي الترمذي عن أنس رضي الله عنه «**أنّ النَّبيَّ ﷺ دخل على شابٍّ** وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله، إنِّي أرجو الله،

وإنِّي أخافُ ذُنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلَّا أعطاه الله ما يرجو وآمنه ممَّا يخاف».

٧٠
استحلال السيف

عن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**ما ابتدع الرجل بدعةً، إلا استحلَّ السيف**».

«الشريعة» للآجري (١٣٥).

أي أن هذا الاستحلال للسيف مُتَولِّدٌ عن البدعة، وأشدُّ أهل البدع في هذا الباب الروافض، وشرّهم على الأمة لا يعلم مداه إلا الله، بل -كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «إنَّ أصل كلّ فتنةٍ وبليَّةٍ هم الشيعة، ومن انضوى إليهم، وكثيرٌ من السيوف التي سُلَّت في الإسلام إنما كانت من جهتهم»، أي: ابتداءًا أو تسببًا، وشاهد الأمر ظاهر في زماننا ، كفى الله المسلمين شرهم.

٧١
حلم ابن عون

كان عبد الله بن عون لا يغضب، فإذا أغضبه رجل، قال: بارك الله فيك.

«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣/٣٩).

ليتنا نعتبر مقارنة بحالنا ومقالنا عند الغضب، يدعو بهذه الدعوة العظيمة لمن أغضبه، فماذا كان يقول إذًا حال ارتياحه وانبساطه، إنّها القوة والشدة أن يملك نفسه هكذا عند غضبه.

٧٢
التَّهَوُّر

عن سليمان بن يسار: «**أنَّ أقوامًا، كانوا في سفر، فلما ارتحلوا قالوا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾** [الزخرف:١٣]. **قال: ومن القوم رجلٌ له ناقةٌ رَازِم، فقال: أما أنا، فقد أمسيت لهذه مُقْرِنًا، قال: فمضت به، فَدَقَّت عنقه**». «العقوبات» لابن أبي الدنيا (٣١٦).

و«الرَّازم»: التي لا تتحرك هزالا، و «مُقْرِنًا لها» أي: مطيقًا لضبطها.

كثيرٌ من الشباب -أصلحهم الله وهداهم- يعتمد على مهارته في قيادة السيارة ويرى أنه مطيقٌ لضبطها، ثم ينطلق بها مغرورًا متهوِّرًا فيلقى حتفه. فيا أيها الشابُّ سَمِّ الله إذا أردت الرُّكوب واحمده إذا استويت على المقعد، ثم قل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣]، واحذر الغرور والتَّهوُّر.

٧٣
غلاء الأسعار

قيل لأبي حازم سلمة بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا حازمٍ! أما ترى قد غلا السِّعر، فقال: «**وما يغمُّكم من ذلك؟ إنَّ الذي يرزقنا في الرُّخص هو الذي يرزقنا في الغلاء**». «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣/٢٣٩).

تكفل سبحانه برزق العباد، فما مِنْ دابة إلا على الله رزقها، فليفوِّض العبد أمره إلى الرزاق ولْيَبْتَغِ عنده الرزق، وليعلم أنه لن تموت نفس حتى تستتم رزقها، ولا يغتم إلا عند انخرام الدين.

٧٤
التمالي مع أهل الباطل

قال عبد الواحد بن زيد للحسن البصري: «**يا أبا سعيد أخبرني عن رجلٍ لم يشهد فتنة ابن المهلب بن أبي صفرة إلَّا أنَّه عاون بلسانه ورضي بقلبه،** فقال الحسن: **يا ابن أخي كم يد عقرت الناقة؟** قلت: **يد واحدة،** قال: **أليس قد هلك القوم جميعًا برضاهم وتمَالِيهم؟**». «الزهد» لأحمد (١٦٦٦).

قد لا يشارك المرء أهل الباطل في باطلهم لكن يؤِّيد فعالهم بلسَّانه أو يرضى بقلبه عن منكرهم، فيكون معهم.

٧٥
بثّ العلم

قال عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لا أعلم بعد النبوة درجة أفضل من بث العلم**». «تهذيب الكمال» (٢٠/١٦).

هنيئًا لأهل العلم الساعين في بثه ونشره في الأمة هذا الشرف العظيم، رفع الله قدرهم ورزقنا حبهم ومعرفة قدرهم وحسن الإفادة من علومهم.

٧٦
طلب العلم جهاد

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : «**من رأى الغدو والرّواح إلى العلم ليس بجهادٍ، فقد نقص عقله ورأيه**». «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١١٦).

ومن جاهد بلا علمٍ، فلا عقل له؛ كما هي حال حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، الذين يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان.

٧٧
أولياء الله

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إن لم يكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة، فما لله ولي**». «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (١٣٨).

أي أهل العلم والبصيرة بالله وشرعه العالمون العاملون، وحسب المرء في معرفة صفاتهم ما ذكره الله تعالى من صفاتهم في عدد من سور القرآن، وما ذكره الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا سيما في حديث الأولياء المشهور، فالمتصفون بها هم أوليَّاء الله، لا أهل الدعاوى الفجَّة، المنازعون الرب فيما اختص به؛ اقتناصًا لدنيا الناس، وعلوًّا في الأرض وفسادًا.

٧٨
إضاعة العلم

قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنَّ أقوامًا ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمَّة محمد ﷺ بأسيافهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك**». «مفتاح دار السعادة» (١١٩/١).

ولذا كانت الخطوة الأولى عند رؤوس الخوارج مع من أرادوا إيقاعه في حبائلهم إبعاده عن أهل العلم وحملته.

٧٩
التفرغ لعيوب الناس

قال عون بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ما أحسب أحدًا تفرَّغ لعيوب الناس إلَّا من غفلةٍ غفلها عن نفسه**». «الصمت» لابن أبي الدنيا (١٩٨).

صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن الناس من يبصر القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينيه، فربما أصبح، وقد فاتته صلاة الفجر مع الجماعة ولا هَمَّ له إلا تتبع عيوب الناس.

٨٠
الدعاء لولي الأمر

عن عبد الصمد بن يزيد البغدادي قال: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: «**لو أنَّ لي دعوة مستجابة ما صَيَّرْتُهَا إلا في الإمام**، قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: **متى ما صَيَّرْتُهَا في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام فصلاح الإمام؛ صلاح العباد والبلاد**، قيل: وكيف ذلك يا أبا علي، فسر لنا هذا؟ قال: **أما صلاح البلاد، فإذا أمن الناس ظلم الإمام عَمَّروا الخرابات ونزلوا الأرض، وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل، فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دارٍ خمسين خمسين أقلَّ أو أكثر يقول للرجل: لك ما يُصْلِحَكَ وعَلِّمَ هؤلاء أمر دينهم، وانظر ما أخرج الله ﷻ من فيهم مما يُزَكِّي الأرض، فردَّه عليهم. قال: فكان صلاح العباد والبلاد**»، فَقَبَّل ابنُ المبارك جبهته، وقال: يا معلم الخير مَنْ يُحسن هذا غيرك؟! «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩١/٨).

ليتنا نوفق لهذا الإحسان العظيم وننصح لولاة أمرنا بالدعاء لهم باجتهاد وصدق وإلحاح، فَصَلاحُهُم صلاحٌ للعباد والبلاد، اللهم وفق ولاة أمرنا لكل خير.

٨١
فلان ما فيه خير

عن عون بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**إذا أزرى أحدكم على نفسه، فلا يقولنّ: ما فيِّ خيرٌ، فإنَّ فينا التَّوحيد، ولكن ليقل: قد خشيت أن يهلكني ما فيَّ من الشرِّ**». «شعب الإيمان» للبيهقي (٧١٥٩).

ومن باب أولى ألَّا يقول ذلك عند إزرائه بغيره، وكثيرًا ما يجري هذا القول على ألسنة الناس عند إزرائهم بشخص، بل بعضهم يقسم: والله فلان ما فيه خير.

٨٢
أنت في الأمنية

عن إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مثلت نفسي في الجنة آكل ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقُّومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها؛ فقلت لنفسي: أي نفسي، أيَّ شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أردَّ إلى الدُّنيا فأعمل صالحًا قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي**». «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (١٠).

كم في تذكر المآل من أثر في زَمِّ النفس وأطرِهَا على الحق، وكم في الغفلة عنه من أثر في انفلاتها وانسياقها وراء الملذات الفانية.

٨٣
حقيقة المحبة في الله

عن يحيى بن معاذ الرازي ﷺ قال: «**حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء**» الزهد والرقائق للخطيب البغدادي (٢١).

أي: لا يزيدها أن يحسن إليك من أحببته في الله، أو أن ينفعك بشيء من مصالح الدنيا، ولا ينقصها حصول جفوة منه أو تقصير أو نحو ذلك؛ لأن الحب ليس لأجل هذا، وإنما هو لله خالصًا، فلا يتأثر بالحظوظ الدنيوية زيادة أو نقصًا، بخلاف المحبة المشوبة بالأغراض الدنيوية؛ فإنها تنقطع عند حدوث الغرض أو عند اليأس منه.

٨٤
ثلاث خصال

عن محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا، جعل فيه ثلاث خصالٍ: فقهًا في الدِّين، وزهادةً في الدُّنيا، وبصرًا بعيوبه**». «الزهد» لابن المبارك (٢٨٢).

أما الفقه في الدين، فهو باب الخير ومدخله، وأما الزهادة في الدنيا، ففيها السلامة من القواطع عن الخير والشواغل عن تحصيله، وأما التبصر بعيوب النفس، فبوابة التوبة، وسبيل الأَوْبة إلى طريق الخير.

٨٥
وعظ الأبناء

عن عدِّي بن أرطاة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**كونوا كرجلٍ قال لابنه وهو يعظه: يا بنيَّ أوصيك ألَّا تصلِّي صلاةً إلَّا ظننت أنَّك لا تصلِّي بعدها غيرها حتَّى تموت، وتعال بنيّ نعمل عمل رجلين كأنَّهما قد وَقَفا على النَّار ثمَّ سألا الكرَّة**».

«الإبانة» لابن بطة (٣٤).

ما أحوج الأبناء لمثل هذا الوعظ المؤثر والتذكير الموقظ لاسيما مع كثرة الملهيات والفتن.

٨٦
نعمة السلامة من فكر الخوارج

عن أبي العالية الرياحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**إنَّ عليَّ لنعمتين ما أدري أيَّتهما أعظم أن هداني الله للإسلام، ولم يجعلني حروريًّا**» «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٦٧).

حق على كلِّ مَنْ عافاه الله مِنْ فكر الخوارج، أن يحمد الله على هذه النعمة العظيمة؛ لا سيما عندما يرى في قديم الزمان وحديثه جرأتهم العظيمة على تكفير المسلمين وسفك دمائهم.

٨٧
الوسادة والإعاقة عن الصلاة

عن مجزأة بن زاهر الأسلمي، **عن رجل من أصحاب الشجرة اسمه أُهبان ابن أوس، وكان اشتكى ركبته، وكان إذا سجد جعل تحت ركبته وسادةً.** رواه البخاري (٤١٧٤).

يضع رضي الله عنه الوسادة تحت ركبته، ليخفَّ الألم، فتعينه على الخشوع في صلاته، وقارن ذلك بحالِ مَنْ كانت الوسادة نفسها هي المعوقة له عن الصلاة.

٨٨
لواط العين

عن بقية بن الوليد عن الوضين عن بعض المشيخة قال: «**كان يكره أن يحدَّ النَّظر إلى الغلام الأمرد الجميل الوجه**». «السنن الكبرى» للبيهقي (١٣٥٦٧).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن الزِّنَا كما قَسَّمَه الرسول ﷺ، وكذلك اللِّواط أنواعٌ: زنا الفرج، ولواط الفرج، وفيه أيضًا زنا العين، ولواط العين، وفيه أيضًا زنا الأذن، ولواط الأذن، وزنا اليد، ولواط اليد، وزنا الرِّجل، ولواط الرِّجل، يعني: لا تظن أن اللِّواط خاص بفعل الفرج، بل حتى العين لو أن أحدًا تلذذ بالنَّظر إلى أمردٍ قلنا: هذا الرجل تلوط به، لكن تلوط به فعلًا أو نظرًا؟ نظرًا، ولذلك يجب الحذر من هذا الأمر، حتى إنَّ النَّووي وجماعة من أهل العلم قالوا: إنه لا يجوز النظر مطلقًا إلى الأَمردِ الحسن؛ إلحاقًا له

بالمرأة، ولكن الصواب أنه يجوز إلَّا مع التلذذ بذلك، فهذا حرام». «تفسير سورة الفرقان» (ص:١٥٨).

٨٩
موقدات الفتن

عن علي بن أبي طالب ﭬ قال: «**لا تكونوا عُجُلًا مَذَاييعَ بُذَرًا، فإنَّ من ورائكم بلاءً مبرِّحًا مُكْلِحًا، وأمورًا مُتَماحِلةً رُدُحا**». «الأدب المفرد» للبخاري (٣٢٧).

حذَّر ﭬ من أمور ثلاثة يتورط فيها كثير من الناس عند الفتن، فتوقدها وتفضي إلى تزايدها وتفاقمها:

الأول: الاندفاع والتهور والعجلة وعدم التأمل في عواقب الأمور، والعجلة لا تأتي بخير، ومن كان عجولًا في أموره مندفعًا في تصرفاته، فإنَّه لا يأمن على نفسه من الزلل والانحراف.

الثاني: إشاعة الكلام دون تثبُّت ودون رويَّة، والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها قبل التحقق من صحتها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة، ولو صحت، فالواجب التأمل قبل نقلها، هل في نقلها مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟

الثالث: إشعال نار الفتنة وزرع بذور الشر بالنميمة والإفساد بين الناس، وإذكاء موجبات الفُرقة والتطاحن، والعداوة بين المسلمين.

٩٠
الميزان الأكبر

عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كان يقول: «**إنَّ رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خُلُقِهِ وسيرته وهديه، فما وافقها، فهو الحق، وما خالفها، فهو الباطل**». «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٨).

وبنحوه قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو الميزان الراجح الذي على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال، والفُرقان المبين الذي باتباعه يتميز أهل الهدى مِنْ أهل الضلال». «إعلام الموقعين» (١/ ٤).

٩١
قَرَأَةُ القرآن

عن عبد الملك بن عمير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**كان يقال: إنَّ أبقى النَّاس عقولًا قَرَأَةُ القرآن**». «المصنف» لابن أبي شيبة (٣٠٥٧٧).

أي أنهم إن فسح الله في آجالهم وأطال في أعمارهم لا يصيبهم ما يصيب عامة الناس مِنْ خَرَفٍ كما قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قرأ القرآن لم يخرف». رواه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٧٩).

فهنيئًا لِمَنْ أكرمه الله بأن كان من قَرَأَةِ القرآن.

٩٢
ستر الله

قال عبد الله بن شوذب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اجتمع قومٌ فتذاكروا أيَّ النِّعم أفضل؟ فقال رجلٌ: ما ستر الله به بعضنا عن بعضٍ، قال: فيرون أنَّ قول ذلك أرجح**».
«حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٣١/٦).

ألا ما أجلَّها من نعمة، ولو كُشِفَ السِّتر لبانت عيوب وتبدَّت ذنوب، لكن نسأل الذي سترها أن يغفرها إنَّه ستِّير غفور.

٩٣
جلاء القلوب

قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ لكلِّ شيءٍ جلاءً، وإنَّ جلاء القلوب ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ**». «شعب الإيمان» للبيهقي (٥٢٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب أنَّ القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذِّكر، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك الذكر صدئ، فإذا ذكر جلاه». «الوابل الصيب» (ص: ٩٢).

٩٤
التَّظنِّي

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**ما يزال المسروق منه يتظنَّى حتَّى يصير أعظم من السَّارق**». «الأدب المفرد» للبخاري (٢٨٩).

التَّظنِّي إعمال الظن، أصلها التَّظنُّن أبدلت النون الأخيرة ياءً، أي: أنه إذا سُرِقَ منه متاعٌ يبدأ يعمل فكره في الظنون: «أعتقد أنه فلان، بل إنه فلان، نعم لقد رأيت فلانًا في ذلك المكان»، ثم يدخل في تهم وغِيبَة ووقيعة ونميمة وآثام عظيمة، حتى إن حاله لتصبح أعظم إثمًا من إثم السارق. وقل مثل ذلك في سائر الأخطاء والمخالفات. وعلى سبيل المثال: قد يصاب المرءُ بالعَيْنِ فيتضرر، إما في بدنه أو في بعض ممتلكاته، فيبدأ في هذه الظُّنون والتُّهم: «إنه فلان، بل هو فلان، إنني أعرف من فلانٍ كذا»، ويخوض في أعراض إخوانه فيفترض تهمًا باطلة ودعاوَى زائفة لا تقوم على دليل، يخوض في أعراضهم غِيبَةً ونميمةً واستطالةً وأذًى عظيمًا؛ فتكون حاله أشدَّ حالًا من العائن الذي حسده أو أصابه بالعين.

٩٥
بئس الخاطب أنت

مرَّ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ برجلٍ وفي يده حصاة يلعب بها، وهو يقول: اللهم زَوِّجني من الحُورِ العِينِ، فمال إليه عمر فقال: «**بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصاة، وأخلصت إلى الله الدُّعاء؟**». «الحلية» لأبي نعيم (٢٧٨/٥).

لكن استجدَّ في زماننا هذا حصاة من لون آخر في أيدي الناس في غالب أوقاتهم، شغلت القلوب أكثر من الأيدي بركام كبير من اللَّهو واللَّعب، فلم تّعُدْ تُحْسن الدعاء والتضرع والسؤال، ولهؤلاء يجدر أن يقال: «ألا أغلقت الجَوَّالَ وأَخْلَصْت لله السؤال».

٩٦
صيام عاشوراء

كان محمد بن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سفر فصام يوم عاشوراء، فقيل له: تصوم يوم عاشوراء في السفر، وأنت تفطر في رمضان؟ فقال: «**إنَّ رمضان له عِدَّةٌ من أيَّامٍ أخر، وإنَّ عاشوراء تفوت**». «شعب الإيمان» للبيهقي (٣٥١٨).

هذا من شدة حرصهم على هذا المواسم المباركة، غَنَّمَنَا الله أجمعين خيراتها وبركاتها.

٩٧
جَرَّبْتُ لساني

كان طاوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعتذر من طول السكوت ويقول: «**إني جربت لساني، فوجدته لئيمًا راضًعا**». «الصمت» لابن أبي الدنيا (٩٢).

يقال لكل لئيم إذا تَأَكَّدَ لؤمه: لئيم راضعٌ، ومَنْ يجرِّب لسانه يجدْهُ بهذا الوصف أو أشدَّ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت.

٩٨
الأخذ عن الأكابر

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**لا يزال النَّاس بخيرٍ ما أتاهم العلم من أصحاب محمَّدٍ ﷺ، وَمِن أكابرهم، فإذا جاء العلم من قبل أصاغرهم، فذاك حين هلكوا**». «المعجم الكبير» للطبراني (٨٥١٠).

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سئلت عن قوله: «لا يزال النَّاس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم» يريد: لا يزال النَّاس بخير ما كان علماؤهم المشايخ ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأنَّ الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحِدَّته وعجلته وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، ومع السن الوقار والجلالة والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذا الأمور التي أُمِنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه، وأفتى هلك وأهلك». «نصيحة أهل الحديث» للبغدادي (٨).

٩٩
الغناء ينبت النفاق

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**الغناء ينبت النِّفاق في القلب**». «سنن أبي داود» (٤٩٢٧).

وجه إنباته للنفاق في القلب ما يلي ملخِّصًا من «إغاثة اللهفان» (١/ ٢١٤) لابن القيم:

١- أنه يُلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه.

٢- أن الإيمان قول وعمل: قول بالحق وعمل بالطاعة، وهذا ينبت على الذكر، وتلاوة القرآن، والنفاق قول الباطل وعمل البغي، وهذا ينبت على الغناء.

٣- أن من علامات النفاق: قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة وقلَّ أن تجد مفتونًا بالغناء إلا وهذا وصْفُه.

٤- أن النِّفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر، فإنه يُحسِّنُ القبيح ويزينه ويأمر به، ويقبح الحسن ويزهد فيه، وذلك عين النفاق.

٥- أن النفاق غشٌّ ومكر وخداع والغناء مؤسس على ذلك.

٦- أن المنافق يفسد من حيث يظن أنه يصلح كما أخبر الله سبحانه بذلك عن المنافقين وصاحب السماع يفسد قلبه وحاله من حيث يظن أنه يصلحه.

٧- أن الغناء يفسد القلب، وإذا فسد القلب؛ هاج فيه النفاق.

١٠٠
جزاك الله خيرًا

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «**لو يعلم أحدكم ما له في قوله لأخيه: جزاك الله خيرًا، لأكثر منها بعضكم لبعضٍ**». «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٦٥١٩).

ما أعظم هذه الكلمة وأبلغها في الثناء على أهل المعروف والإحسان؛ لما فيها من اعتراف بالتقصير، وعجز عن الجزاء، وتفويض الجزاء إلى الله؛ ليجزيهم أوفى الجزاء وأتمه، كما قال بعضهم: إذا قَصُرت يداك بالمكافأة، فليطل لسانك بالشكر والدعاء بالجزاء الأوفى.

جزى اللهُ سلفَنا الصالحَ عنّا خيرًا، ورزقَنا حُسنَ الائتِساءِ بهِمْ، وألحقَنا بالصّالحين من عباده، وغفرَ لنا أجمعين.

آخر هذا المجموع، وبالله وحده التوفيق، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس

* * *

المَجمُوعَة الأُولى (١ - ١٠٠)

التُّحف

بالمأثور عن السّلف

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين
جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة